الرياض

إسرائيل والمبادرات العربية

صالح النملة

تعج الساحة العربية هذه الأيام بالمبادرات السياسية العربية وبعضها ماهو متخيل وغير منظم ومنها ماهو جريء وواضح المعالم مثل المبادرة التي تقدم بها الامير عبدالله بن عبدالعزيز والتي يمكن تلخيصها بالانسحاب الإسرائيلي الكامل من جميع الاراضي المحتلة عام 1967م وما ترتب عليها من هجرة اللاجئين اي ضمان عودة اللاجئين حسب الخطة المطروحة. ودار حول المبادرة من الجدل والتأييد سواء داخل الوطن العربي او خارجه ورغم ان هذه المبادرة كانت مبنية على مبادرات سابقة فهي جاءت مكملة للقرارات الدولية الصادرة من الامم المتحدة، اذاً ماهو الجديد في مبادرة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز؟ الجديد في المبادرة عاملان رئيسيان هما:

(1)أنها مبادرة جاءت من المملكة العربية السعودية قلب العالم العربي والعالم الاسلامي وان اي عمل تقوم به المملكة او تقبل به فإنه سوف يكون ذا اهمية رمزية هائلة وذا بعد سياسي هام كنتيجة لهذه الاهمية الروحية والوطنية.

(2)أنها المرة الاولى التي تتحدث فيها المملكة عن مفهوم التطبيع وهذا هو الشيء الجديد والملفت للنظر لكل المراقبين وخصوصاً في العالم الغربي وأوروبا والولايات المتحدة الامريكية والمجتمع اليهودي وباقي امريكا بل إن إسرائيل كان لها نصيب من الاهتمام في هذه المبادرة حيث تضاربت المواقف والتصريحات حولها. إذاً جديد المبادرة هو طرح المملكة العربية السعودية لموضوع التطبيع وكونها انه خرجت من المملكة ا لعربية السعودية الدولة الأهم والأقوى في هذه المرحلة.

إن السؤال المشروع الذي يمكن طرحه وتحليله هو التالي:

هل إسرائيل لديها اهتمام او رغبة في السلام مع العرب؟

هل الولايات المتحدة الامريكية لها اهتمام في تحقيق السلام في منطقة الشرق الاوسط؟ رغم جسارة هذين السؤالين الا انهما المفتاح الحقيقي لمعرفة مصير المبادرات العربية والمبادرة السعودية على وجه الخصوص.

ويمكن محاولة الإجابة على السؤال الاول بالقول ان مثل هذه المبادرة يمكن ان يكتب لها النجاح في حالة توازن القوى او توازن الرعب أما وان القوة الإسرائيلية هي القوة الأهم والاقوى مقابل الضعف العسكري العربي فان العقل السياسي المنطقي الإسرائيلي لن يقبل بمثل هذه المبادرات لأسباب اهمها:

-1إسرائيل هي الدولة المنتصرة وأقل من الاستسلام الكامل لشروط إسرائيل فان ذلك لايحقق الاهداف الإسرائيلية. اي ان إسرائيل تريد ثمن نجاحاتها وانتصاراتها وان تكون اللاعب الاهم في السياسة العربية من خلال قيادة الدول العربية.

-2ان انسحاب إسرائيل من الاراضي العربية المحتلة عام 1967م وعودة اللاجئين هو غير قابل للقبول من قبل دولة منتصرة وان اقل من الاستسلام لايمكن القبول به بل ان طرح مبادرة من قبل طرف مهزوم يعتبر في نهج العلاقات الدولية هو اعلان استسلام في المقام الاول ولا يعد ورقة للتفاوض بين اطراف مختلفة.

-3إن إسرائيل اليوم تخشى من السلام اكثر مما تخشى الحرب وذلك ان الحرب لديها واضحة المعالم وواضحة العدو وان هذا العدو يتلقى الضربات دون ان يستطيع المقاومة بل إن الحرب توحد المجتمع الإسرائيلي الذي لم يتم انصهاره بعد وان إسرائيل حسب نسب الهجرة وتوزيعهم الجغرافي تحتاج الى مايقارب اربعين سنة من اجل انصهار القوى الاجتماعية في إسرائيل اي ان إسرائيل بحاجة الى عدو خارجي من اجل صهر وضعها الداخلي حتى وإن ارتبطت إسرائيل في قضايا سلام فلن يكون جاداً وحقيقياً منطلقاً ذلك من مصالح إسرائيل اولاً واخيراً.

-4إن دوافع إسرائيل لقبول هذه المبادرة هي دوافع مركبة ومتناقضة حيث إن التغيير الاجتماعي العربي من حيث إن المجتمعات العربية بشكل خاص والمجتمعات الاسلامية بشكل عام هي من جيل الشباب اي ان الغالبية من هذه المجتمعات هي دون العشرين سنة وهذه يمكن ان تدفع إسرائيل لشراء الوقت وعقد صفقات سلام مع الدول العربية من اجل تلافي المستقبل الذي يمكن ان يحمل توقعات وتطورات غير مستقرة في العالم العربي والاسلامي وان مثل هذه التشكيلة البشرية مع تطور وسائل النقل الحي والمباشر سوف يجعل من الجيل الجديد جيلاً يؤمن بالقوة والعنف ضد إسرائيل اكثر من سابقيه وان هذا

الجيل الجديد سوف يقابل جيلاً يهودياً ملّ العنف وسئم حياة الاستقرار واللاحرب. وعلى الرغم من ان هذا العامل يمكن ان يدفع إسرائيل الى السلام فانه كذلك عامل يدفع إسرائيل الى الابتعاد عن اي اتفاقية سلام مع العرب اي عدم اعطاء الفرصة لهذه الاجيال من العرب المسلمين لتنعم في لحظة سلام او تنمية وابقاء هذه المجاميع البشرية محبطة بدون تنمية وبدون كرامة وهذا وان كان لايؤدي الى استقرار كامل الا انه لايؤدي الى تدمير وزوال إسرائيل وبالتالي فإن اللاحرب واللاسلام هو اكثر قبولاً لإسرائيل اليوم من السلام الكامل.

-5ان ما يمكن قراءته من المبادرات العربية هو محاولة وضع إسرائيل في قالب واضح الحدود والمعالم من حيث إن هذه المبادرات تهدف الى وضع الحلم الإسرائيلي في وضع محدود وواضح اي ايقاف التمدد والتوسع الإسرائيلي وتجلي الحقيقة عن حدود ومفهوم حلم إسرائيل هل هي إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات ام انها حلم وصول المجتمع اليهودي العلمي الى تحقيق وطن قومي لهم في ارض فلسطين. ان مثل هذه المبادرات تضع المشروع اليهودي على المحك من اجل الوضوح وان كانت هذه المبادرات تحقق مثل هذا الهدف الا ان السياسة وهذه الطروحات يتم استيعابها في شكل مراحل خصوصاً في حالة توازن القوى بين الطرفين وهو الذي ليس موجوداً اليوم بين العرب وإسرائيل ولذلك فان عقلية رفض المبادرة تدل على قوة إسرائيل من جانب وانها مازالت تعمل على تحقيق الهدف الاشمل في المشروع الصهيوني.

-6إن النظام الدولي اليوم الآحادي القطبية هو في صالح إسرائيل حيث إن الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة الاهم والأقوى والحليف مع المشروع الصهيوني بشكل عام لاسباب ايدلوجية وسياسية بل وحتى لأسباب استراتيجية تدخل في معادلة الطاقة والنفط وصراعها مع أوروبا والقوى الآسيوية الاخرى مثل الصين واليابان وغيرها.

إن ما يمكن التخمين به بعد التحليل هو ان المبادرات العربية على الرغم من بعدها الإعلامي والعلاقات العامة هي مبادرات تضع إسرائيل على المحك بخصوص جديتها في نشد السلام وكذلك في تحديد مشروعها السياسي وحدوده ومعالمه ومن جانب آخر فإن العوامل العربية والإسرائيلية الداخلية والدولية وخصوصاً الولايات المتحدة الامريكية وصراعها داخل الوطن العربي على اسس وأبعاد ايدلوجية وأسس وأبعاد استراتيجية خصوصاً في جانب الطاقة والنفط وانعكاس ذلك على استراتيجيتها الدولية فان مفهوم السلام هو في غير صالح هذه القوى الغربية او إسرائيل وان الطرف الضعيف والمهزوم والمنكسر وهو العالم العربي هو الذي له مصلحة السلام وليس لإسرائيل مصالح حقيقية على المستوى الداخلي او الخارجي لقبول مثل هذه المبادرات. ولكن هل إسرائيل سوف ترفض مثل هذه المبادرات؟ الجواب لا، ولكن سوف تقوم إسرائيل مع الولايات المتحدة الامريكية في تحوير اهداف هذه الافكار وادخالها في تفاصيل وتوجيهات ينتج عنها الابتعاد عن الافكار الرئيسية لهذه المبادرات وبالتالي عدم تحقيق مفهوم السلام كما تراه هذه المبادرات العربية أما هل الولايات المتحدة الامريكية متحمسة لمفهوم السلام والمبادرات العربية فهذا ما ارجو ان يكون موضوع مقال قادم إن شاء الله.